

إلى تصحيح هذا الوضع الخاطيء هو أن ندرس علامات الإعراب على أنها دوال على معان، وأن نبحث في ثنايا الكلام مما تشير إليه كل علامة منها . وانتهى من بحثه - في هذا الصدد - إلى أن الضمة علم الإسناد ودليل أن الكلمة مرفوعة يراد أن يسند إليها ويتحدث عنها، والكسرة علم الإضافة وإشارة إلى ارتباط الكلمة بما قبلها بأداة أو بغير أداة، ولا يخرج كل منها عن هذا إلا أن يكون في بناء أو اتباع، وللإعراب الضمة والكسرة فقط، وليستا أثرًا لعامل من اللفظ، بل هما من عمل المتكلم ليدل بهما على معنى في تأليف الجملة» أما الفتحة - فهي عنده لا تدل على معنى» كالضمة والكسرة فليست بعلم إعراب، ولكنها الحركة الخفيفة المستحبة عند العرب، التي يجوبون أن يشكل بها آخر كل كلمة في الوصل ودرج الكلام، فهي في العربية نظير السكون في لغتنا العامية» والحقيقة أن الفتحة شأنها شأن العلامات الأخرى فهي تدل على وظيفة نحوية بعينها كالمفعولية والظرفية وهناك العديد من المكونات التي تحمل هذه العلامة لتمييزها عن سائر المكونات التي تحمل الضمة أو الكسرة على أواخرها ومن هذه المكونات التي تقترن بها علامة الفتحة ما يؤدي وظائف المصادر والمفعول المطلق والمفعول به ومعها وفيه والحال والتمييز وبعض الصفات التي تتبع موصوفًا منصوبًا واسم (إن) وأخواتها وأخبار (كان) وأخواتها ... إلخ.

أما الذي دعا الأستاذ إبراهيم مصطفى إلى القول بأن الفتحة ليست علامة تدل على وظيفة نحوية فهو تلك النظرة الجمالية التذوقية للحروف والحركات التي صدرت في العصر الحديث صدى لدراسات علم اللغة التي تقوم على الإحصاء فبإحصاء بعض الجذور والمواد اللغوية في المعاجم وجد أن أكثر الحركات ترددًا في اللغة العربية هي الفتحة ولما حظيت الفتحة بهذه النسبة العالية من التردد استقر عند الأستاذ إبراهيم مصطفى أنها الحركة المستحبة عند العرب، وإذا كان هذا الرأي مبنياً على أن الفتحة حركة يستريح فيها النفس فالكسرة والضمة أيضاً عند تطويلهما يأخذ النفس فيهما أقصى